



التفسير

ثاني ثانوي

طبعة ١٤٢٨ هـ

المحتويات

الدرس الأول: التفسير

ما هو التفسير؟

التفسير هو الكشف والتبيان والتوضيح. وقد ارتبط هذا المسمى بالقرآن الكريم فإذا ذكرت هذه الكلمة مستقلة فإنه يتبادر للذهن تفسير القرآن الكريم.

التفسير التجزيئي

لمحة تاريخية عن تفسير القرآن الكريم

كان المسلمون في عهد نزول القرآن يسألون النبي صلى الله عليه وآله عن ما غمض عليهم من آية أو مقصد من كلام الله تعالى، وكان الإمام علي عليه السلام يكتب آيات القرآن النازلة، ويسأل عنها النبي صلى الله عليه وآله ويدون الملاحظات عنها.

و كان المسلمون يعيشون في جو القرآن الخالص، ووسط تطبيقه السليم، على مرأى ومسمع من النبي صلى الله عليه وآله وتلاميذ القرآن، من أمثال الإمام علي عليه السلام. وكانوا يتبعون القرآن ويصحح النبي صلى الله عليه وآله فهمهم له إن أخطأوا.

كان ذلك ما دام النبي وآله صلى الله عليهم أجمعين بينهم وأبناء القرآن المخلصين. ولكن بعد أن بعدوا عنهم، وبعدوا عن لغتهم الأصيلة ففسدت ألسن الناس ولهجاتهم، أصبحوا يسألون عن معاني آيات القرآن. فبمرور الزمن، دخل معهم الإسلام بعض اليهود والنصارى والوثنيين من عرب وغير عرب. فاختلطت اللغة العربية بغيرها و دخل من العقائد إلى المسلمين ممن دخل الإسلام الكثير؛ فكانت هناك حاجة لمعرفة عقائد الإسلام الحقة ومعرفة مداليل الآيات وألفاظها.

وهناك مشكلة أخرى برزت ألا وهي البعد عن عصر النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام مما جعل التأكد من صحة الأحاديث ومحتواها عملية صعبة.



ومن هنا ابتدأت حركة التفسير عند العلماء لبيان معاني القرآن واستيضاح مقاصده.

منهج التفسير وأساليب المفسرين

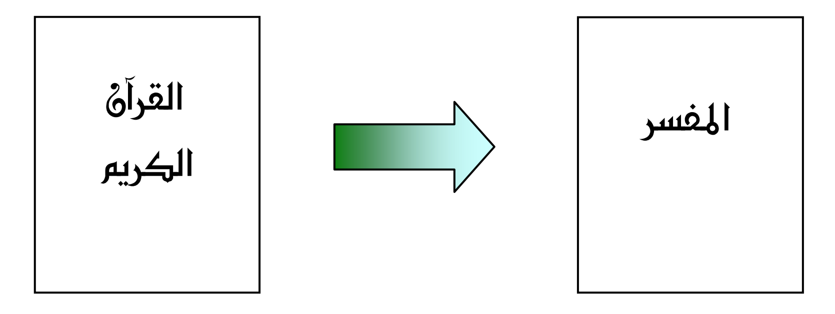
كان منهج المفسر هو البدء بالتفسير آية آية من سورة الفاتحة وصولاً إلى سورة الناس. وهذا هو ما يسمى **بالتفسير التجزئي**.

ولكل مفسر أسلوبه. فمفسر يطغى عليه الأسلوب اللغوي والبلاغي، وآخر يغلب عليه الأسلوب الروائي – الاعتماد على الروايات في التفسير–، وآخر يغلب عليه الأسلوب الفلسفي، وآخر يهتم بالجانب الفقهي.

وكل ما لدينا من تفاسير في مكتبتنا هو من هذا المنهج التجزيئي. ومهما بحث المفسر في القرآن فلن يكون قادراً على شمول بيان كل أوجه الآية.

دور المفسر هنا دور سلبي

دور المفسر هنا دور سلبي. فهو هنا جالس على مائدة القرآن يستمع إليه، ولا يرجع إلى معارفه الخارجية (أي معارفه العامة التي استفادها من غير القرآن الكريم، كنتائج العلوم مثلا أو النظريات المطرحة في كل مجال). هو لا يرجع لتلك المعارف ليقارنها بمعارف القرآن وبالنظرية القرآنية.



دور المفسر هنا هو دور سلبى
هذا هو التفسير التجزيئي للقرآن الكريم.

لكن يجب أن نعرف أن الذي يفسر الآية تفسيرا تجزيئا لا يقتصر على الآية التي يفسرها، ويفصلها عن بقية آيات القرآن، بل يستعين بتفسير بقية الآيات المتعلقة في فهم وتفسير هذه الآية. ولكنه لا يحاول من خلال استخراج نظرية قرآنية عامة في موضوع من المواضيع الحياتية مثلا.

أسئلة ومطالب

س١/ اسأل بعض الأساتذة هل يمكن أن نحصل على تفسير الإمام علي (عليه السلام)؟ تفسير الزهراء (ع) (مصحف فاطمة) أو تفسير أئمة أهل البيت ؟

س٢/ لماذا قلنا عن دور المفسر التجزيئي أنه دور سلبي؟

س٣/ هل تعرف أسماء بعض التفاسير غير المذكور أعلاه ؟ هل هي من النوع التجزيئي؟

س٤/ هل تستمع لمحاضرات الدكتور أحمد الوائلي رحمه الله تعالى ؟ محاضراته مليئة بنقاش لآيات القرآن الكريم و تفسيرها وترجيح الآراء فيها. استمع إلى إحدى المحاضرات وسجل الآية والآراء المختلفة والرأي المرجح لديه ثم اعرض ما سمعت على الزملاء غداً.

الدرس الثاني: التفسير الموضوعي

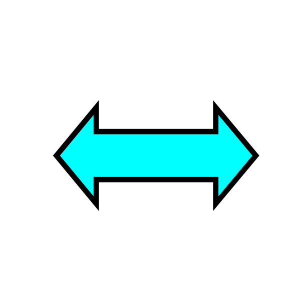
<u>كيف يكون دور المفسر دوراً إيجابياً؟</u>

يقول الإمام علي عليه السلام: «ذلك القرآن فاستنطقوه ولن ينطق، ولكن أخبركم عنه: ألا إن فيه علم ما يأتي والحديث عن الماضي ودواء دائكم ونظم مابينكم».

لماذا لا يكون للمفسر دورٌ غير كونه مجرد مستمعا؟

في التفسير الموضوعي يبدأ المفسر بموضوع من الحياة من الواقع، ثم يعرض موضوعه على القرآن. وهنا يُحكِّم القرآن، ويخرج المفسر لنا بنظرية شاملة من القرآن في هذا الموضوع.

المفسر



القرآن الكريم

دور المفسر هنا هو دور إيجابي

فمثلا يكون موضوع المفسر هو الاقتصاد الإسلامي أو طرق الدعوة أو النبوة أو الإمامة أو المعاد.

هذا المنهج من التفسير يسمى **التفسير الموضوعي**. فيه يختار المفسر موضوعا ويرجع إلى القرآن فيتعرف على ما يطرحه من نظرية، ويخرج برأي الإسلام من ذلك.

ويتميز رأي الإسلام في كل الموضوعات بأنه رأي شامل محيط، وهنا يكوِّن

المفسر نظرية شاملة إسلامية على عكس النظريات الأرضية المحدودة.

وقد يبدأ بعض المفسرين من القرآن فيختار منه موضوعا ثم يسعى لمعرفة كل ما قاله القرآن الكريم حول الموضوع. مثال ذلك أن يختار مثلاً خلق السماوات والأرض أو الصلاة أو البعث يوم القيامة. ثم يبحث في القرآن نفسه عن نظرية متكاملة في هذا الموضوع الذي اختاره منه.

وفي العادة يتناول المفسر موضوعاً مثل الموضوعات العقائدية كالتوحيد، ويشبع البحث، ثم يستشهد بالآيات المرتبطة بالموضوع. وقد لا يكون هذا الأسلوب تفسيراً في الحقيقة إن كان ذكر الآيات مجرد شاهد.

أو أنه يجمع الآيات المرتبطة بموضوع ما أولا، قبل أن يصدر أي رأي فيه، ويضم هذه الآيات بعضها إلى بعض، ثم يستخرج من ذلك نظرية القرآن.

أسئلة ومطالب

س١/ ما المقصود بأن يكون التفسير إيجابياً؟

س٢/ ما معنى استنطاق القرآن ؟ يمكن الرجوع إلى المعنى اللفظي لكلمة نطق.

س٣/ هل يمكن أن يساهم التفسير الموضوعي في وحدة المسلمين؟ ماذا لو بحث العلماء المسلمون عن موضوع رؤية الله، الإمامة، الخلافة، المعاد؟

س٤/ ما الفرق بين قانون الأرض وقانون السماء؟ ألا يمكن الاستغناء بقوانين الإنسان عن قوانين السماء؟

س٥/ اختر موضوعاً واجمع ما استطعت من آيات تمس هذا الموضوع. سجل أرقام الآيات واطرح ذلك على الزملاء.



الدرس الثالث: بحث

تمارين

قم بالإجابة على الأسئلة التي يحددها لك أستاذك من الأسئلة التالية ونفذ التطبيقات المطلوبة.

س١/ ابحث في الانترنت بالكلمات التالية (يمكن البحث في كتب كبديل):

(استخدم موقع www.google.com بعد تحويله للغة العربية)

- التفسير الموضوعي
- التفسير التجزيئي
- كتب تفسير موضوعي
- نماذج تفسير موضوعي
- تفسير موضوعي جعفر السبحاني
- تفسير موضوعي الشهيد محمد باقر الصدر
- تفسير موضوعي ناصر مكارم شيرازي

س٢/ لخص أربع معلومات عن التفسير الموضوعي حصلت عليها من بحثك وقدمها لزملائك للحوار.

س٣/ ما هي الأساسيات التي يحتاجها المفسر؟ يمكنك الاستعانة بالبحث في الانترنت عن : آداب المفسر، علوم القرآن والتفسير

س٤/ اقرأ في المصحف الشريف سورة القصص وعند كل آية، توقف واسأل نفسك عن الموضوعات التي يمكن أن تتطرق إليها.

س٥/ قم بجمع الآيات المتعلقة بموضوع أخلاق الأنبياء والصالحين في

القرآن الكريم ومن ذلك اكتب في ورقة مايجب أن يتحلى به المرء من خلق اقتداء بهؤلاء العباقرة العظام.

س٦/ هل يواكب الإسلام التقدم المدني والإنساني ؟ كيف يمكن أن يكون دور التفسير الموضوعي في ذلك؟

الدرس الرابع: تطبيقات التفسير التجزيئي

من تفسير الأمثل

راجع تفسير الأمثل لسورة الكوثر الموجود نهاية الأسئلة، وحاول من خلال التفسير الإجابة على الأسئلة التالية:

١. ما هي معاني الكوثر المحتملة؟
٢. ما معنى أبتر؟
٣. هل إن سبب نزول السورة يرجح أحد المعاني المذكورة للكوثر؟
٤. هل يمنع ذلك أن تشمل السورة معانيا أخرى للكوثر غير المعنى الذي رجحناه؟
٥. كيف نستفيد وجوب قصد القربى في العبادة من آية (فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ)؟
٦. ما علاقة فاطمة الزهراء عليها السلام بالكوثر؟
٧. قارن إجاباتك بالتفسير الموجود في منهج أول إعدادي لهذه السورة الكريمة؟ هل استفدت من اطلاعك على الموجود هناك، أو هل عندك ملاحظات عليه.

الأمثل في تفسير القرآن العظيم

«سورة الكوثَر»

مَكيَّة / وَعَدَدُ آيَاتِهَا ثلاث آياتْ

محتوى السّورة

المشهور أنّ هذه السّورة نزلت في مكّة، وقيل: في المدينة، وقيل: من المحتمل أنّها

نزلت مرّتين في مكّة والمدينة، لكن الرّوايات في سبب نزول السّورة تؤيد أنّها مكّية.

ذكر في سبب نزول السّورة: أنّ «العاص بن وائل» رأى رسول الله ﷺ يخرج من المسجد، فالتقيا عند باب بني سهم، وتحدثا، وأُناس من صناديد قريش جلوس في المسجد. فلما دخل «العاص» قيل له من الذي كنت تتحدث معه؟ قال: ذلك الأبتر. وكان قد توفي عبد اللهّ بن رسول الله ﷺ وهومن خديجة، وكانوا يسمون من ليس له ابن أبتر. فسمته قريش عند موت ابنه أبتر. (فنزلت السّورة تبشر النّبي بالنعم الوافرة والكوثر وتصف عدوّه بالأبتر)[١].

ولمزيد من التوضيح نذكر أنّ النّبي كان له ولدان من أُم المؤمنين خديجة عليها السلام أحدهما «القاسم» والآخر «الطاهر» ويسمى أيضاً عبد الله. وتوفي كلاهما في مكّة. وأصبح النّبي من دون ولد. هذه المسألة وفرت للأعداء فرصة الطعن بالنّبي فسمّوه الأبتر[٢].

والعرب حسب تقاليدها كانت تعير أهمّية بالغة للولد، وتعتبره امتداداً لمهام الأب. بعد وفاة عبد اللهّ خال الأعداء أنّ الرسالة سوف تنتهي بوفاة الرّسول ﷺ.

السّورة نزلت لتردّ على هؤلاء الأعداء بشكل إعجازي ولتقول لهم: إنّ عدوّ الرسول هو الأبتر، وأن الرسالة سوف تستمر وتتواصل وهذه البشرى بددت من جهة آمال الأعداء وطيبت خاطر النّبي ﷺ بعد أن اغتم من لمز الأعداء وتآمرهم.

فضيلة السّورة:

ورد في فضيلة هذه السّورة عن رسول الله ﷺ قال: «**من قرأها سقاه اللهّ من أنهار الجنّة، وأُعطي من الأجر بعدد كلّ قربان قربه العباد في يوم عيد، ويقربون**

---

(١) مجمع البيان، ج١٠، ص٥٤٩

(٢) كان للرّسول إبن آخر من «مارية القبطية» اسمه إبراهيم. ولد في الثامنة للهجرة بالمدينة، ولكنّه توفي أيضاً قبل بلوغ الثّانية من عمره، وحزن عليه الرسول كثيراً.



من أهل الكتاب والمشركين»[1].

اسم هذه السّورة (الكوثر) مأخوذة من أوّل آية فيها.

الآيات

﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَـكَ الكَوْثَرَ(١) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وانْحَرْ(٢) إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ(٣)﴾

التفسير

اعطيناك الخير العميم،

الحديث في كلّ هذه السّورة موجّه إلى النّبي الأكرم ﷺ (مثل سورة والضحى، وسورة ألم نشرح)، وأحد أهداف هذه السور تسلية قلب النّبي إزاء ركام الأحداث المؤلمة وطعون الأعداء.

تقول له أوّلاً:

(إنّا أعطيناك الكوثر).

و«الكوثر»: من الكثرة، وبمعنى الخير الكثير، ويسمى الفرد السخي كوثراً.

وفي معنى «الكوثر» ورد أنّه لما نزلت سورة الكوثر صعد رسول الله ﷺ المنبر فقرأها على النّاس. فلما نزل قالوا: يا رسول الله، ما هذا الذي أعطاك الله؟ قال: «**نهر في الجنّة أشدّ بياضاً من اللبن، وأشدّ استقامة من القدح، حافتاه قباب الدر والياقوت...**»[2].

وعن الإمام الصادق عليه السلام في معنى الكوثر قال: «**نهر في الجنّة اعطاه الله نبيّه**

(١) مجمع البيان، ج١٠، ص٥٤٨

(٢) مجمع البيان، ج١٠، ص٥٤٩

عوضاً من ابنه»[١].

وقيل: هو حوض النّبي الذي يكثر النّاس عليه يوم القيامة.

وقيل: هو النّبوة والكتاب، وقيل: هو القرآن. وقيل: كثرة الأصحاب والأشياع. وقيل: هو كثرة النسل والذرية وقد ظهرت الكثرة في نسله من ولد فاطمة عليها السلام حتى لا يحصى عددهم، واتصل إلى يوم القيامة مددهم، وروي عن الصادق عليه السلام أنّه الشفاعة[٢].

الفخر الرازي نقل خمسة عشر رأياً في تفسير الكوثر، ولكن هذه التفاسير تبيّن غالباً المصاديق البارزة لمعناها الواسع وهو «الخير الكثير».

نعلم أنّ اللهّ سبحانه أعطى رسوله الأكرم صلى الله عليه وآله نعماً كثيرة، منها ما ذكره المفسّرون في معنى الكوثر وغيرها كثير، وكلّها يمكن أن تكون تفسيراً مصداقياً للآية.

على أي حال، كلّ الهبات الإلهية لرسول الله صلى الله عليه وآله في كل المجالات تدخل في إطار هذا الخير الكثير، ومن ذلك انتصاراته على الأعداء في الغزوات، بل حتى علماء أُمته الذين يحملون مشعل الإسلام والقرآن في كلّ زمان ومكان.

ولا ننسى أنّ كلام اللهّ سبحانه تعالى لنبيّه في هذه السّورة كان قبل ظهور الخير الكثير. فهو إخبار بالمستقبل القريب والبعيد، إخبار إعجازي يشكل دليلاً آخر على صدق دعوة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله.

هذا الخير الكثير يستوجب شكراً عظيماً، وإنّ كان المخلوق لا يستطيع أداء حقّ نعمة الخالق أبداً. إذ أنّ توفيق الشكر نعمة أُخرى منه سبحانه. ولذا

---

(١) المصدر السابق

(٢) المصدر السابق



يقول سبحانه لنبيّه:

(فصل لربّك وانحر).

نعم، واهب النعم هو سبحانه. لذلك ليس ثمّة معنى للعبادات إن كانت لغيره. خاصّة وإن كلمة (ربّ) تعني استمرار النعمة والتدبير والربوبية.

بعبارة أُخرى، العبادات، سواء كانت صلاة أم نحراً، تختص بالربّ وولي النعمة، وهو اللهّ سبحانه وتعالى.

والأمر بالصلاة والنحر للربّ مقابل ما كان يفعله المشركون من سجودهم للأصنام ونحرهم لها، بينما كانوا يرون نعمهم من الله. وتعبير (لربّك) دليل واضح على وجوب قصد القربة في العبادات.

كثير من المفسّرين يعتقدون أنّ الآية تقصد صلاة عيد الأضحى والنحر فيه. لكن مفهوم الآية عام وواسع. وصلاة عيد الأضحى والنحر فيه من مصاديق الآية البارزة.

عبارة «وانحر» من النحر، وهو ذبح الناقة. وقد يكون ذلك لأهمية الناقة بين أنواع الأضاحي. والمسلمون الأوائل كانوا يعتزون بالإبل، ونحرها يحتاج إلى إيثار كثير.

وذكر للآية المباركة تفسيران آخران.

١ ـ المقصود من كلمة (وانحر) أن استقبل القبلة في الصلاة. لأنّ النحر أعلى الصدر، والعرب تستعمل الكلمة لإستقبال الشيء فيقولون: منازلنا تتناحر، أي تتقابل.

٢ ـ المقصود رفع اليد عند النحر لدى التكبير ولذا ورد في الرّواية أنّه لما نزلت

هذه السّورة قال النّبي ﷺ لجبريل: «ما هذه النحيرة[1] التي أمرني بها ربّي؟» قال: «ليست بنحيرة، ولكنّه يأمرك إذا تحرّمت للصلاة أن ترفع يديك إذا كبرت وإذا ركعت، وإذا رفعت رأسك من الركوع وإذا سجدت، فإنّه صلاتنا وصلاة الملائكة في السماوات السبع. فإن لكلّ شيء زينة، وإنّ زينة الصلاة رفع الأيدي عند كلّ تكبيرة»[2].

وروي عن الإمام الصادق عليه السلام في تفسير الآية أنّه أشار بيده وقال: «هكذا». أي استقبل بيديه القبلة في افتتاح الصلاة (رفع يديه جاعلاً كفه مقابل القبلة)[3].

والتّفسير الأوّل أنسب، لأنّ المقصود هو الردّ على أعمال المشركين الذين كانوا يعبدون وينحرون لغير الله، ولكن لا مانع من الجمع بين هذه المعاني، خاصّة وقد وردت بشأن رفع اليد عند التكبير روايات كثيرة في كتب الشيعة والسنة. وبذلك يكون للآية مفهوم جامع يشمل هذه المعاني أيضاً.

وفي آخر آية يقول الله سبحانه لنبيّه ردّاً على ما وَصَمه به المشركون: ﴿**إنّ شانئك هو الأبتر**﴾.

«الشانئ» هو المعادي من «الشنئان» ـ على وزن ضربان ـ وهو العداء والحقد.

و«أبتر» في الأصل هو الحيوان المقطوع الذنب[4]. وصدر هذا التعبير من أعداء الإسلام لإنتهاك الحرمة والإهانة. وكلمة (شانئ) فيها ايحاء بأنّ عدوك لا يراعي أية حرمة ولا يلتزم بأي أدب، أي أنّ عداوته مقرونة بالفظاظة والدناءة.

---

(١) «النحيرة» آخر الشهر، لأنّ الإنسان يستقبل فيه الشهر الجديد. وسؤال النّبي لجبريل عن هذا الإستقبال للشهر الجديد، لذلك قال له جبريل: ليست بنحيرة

(٢) مجمع البيان، ج١٠، ص٥٥٠

(٣) مجمع البيان، ج١٠، ص٥٥٠

(٤) مجمع البيان، ج١، ص٥٤٨



والقرآن يقول لهؤلاء الأعداء في الواقع: إنّكم أنتم تحملون صفة الأبتر لا رسول الله.

من جهة أُخرى، كما ذكرنا في سبب نزول السّورة، قريش كانت تترقب انتهاء الرسالة بوفاة النّبي ﷺ لأنّهم كانوا يقولون: إنّ النّبي بلا عقب. والقرآن يقول للنّبي: «لست بلا عقب، بل شانئك بلا عقب».

بحوث

١ ـ فاطمة عليها السلام و الكوثر

قلنا إنّ «الكوثر» له معنى واسع يشمل كل خير وهبه اللهّ لنبيّه ﷺ، ومصاديقه كثيرة، لكن كثيراً من علماء الشيعة ذهبوا إلى أنّ «فاطمة الزهراء عليها السلام» من أوضح مصاديق الكوثر، لأنّ رواية سبب النزول تقول: إنّ المشركين وصموا النّبي بالأبتر، أي بالشخص المعدوم العقب، وجاءت الآية لتقول: ﴿**إنّا أعطيناك الكوثر**﴾.

ومن هنا نستنتج أن الخير الكثير أو الكوثر هو فاطمة الزهراء عليها السلام، لأن نسل الرسول ﷺ انتشر في العالم بواسطة هذه البنت الكريمة... وذرية الرسول من فاطمة لم يكونوا امتداداً جسمياً للرسول ﷺ فحسب، بل كانوا امتداداً رسالياً صانوا الإسلام وضحوا من أجل المحافظة عليه وكان منهم أئمّة الدين الإثني عشر، أو الخلفاء الإثني عشر بعد النّبي كما أخبر عنهم رسول الله ﷺ في الأحاديث المتواترة بين السنة والشيعة، وكان منهم أيضاً الآلاف المؤلفة من كبار العلماء والفقهاء والمحدثين والمفسّرين وقادة الأُمّة.

والفخر الرازي في استعراضه لتفاسير معنى الكوثر يقول: القول الثّالث «الكوثر» أولاده. قالوا لأنّ هذه السّورة إنّما نزلت ردّاً على من عابه عليه السلام بعدم

الأولاد فالمعنى أنّه يعطيه نسلاً يبقون على مرّ الزمان، فانظر كم قتل من أهل البيت

ثمّ العالم ممتليء منهم ولم يبق من بني أُمية في الدنيا أحد يعبأ به، ثمّ أنظر كم كان فيهم من الأكابر من العلماء كالباقر والصادق والكاظم والرضا عليهم السلام والنفس الزكية وأمثالهم[1].

٢ ـ إعجاز السّورة

هذه السّورة تتضمّن في الواقع ثلاثة من أنباء الغيب والحديث عن المستقبل. فهي أوّلاً تتحدث عن إعطاء الخير الكثير للنّبي (أعطيناك الكوثر) وهذا الفعل وإن جاء بصيغة الماضي، قد يعني المستقبل الحتمي الوقوع. وهذا الخير الكثير يشمل كلّ الانتصارات والنجاحات التي أحرزتها الدعوة الإسلامية فيما بعد. وهي ما كانت متوقعة عند نزول السّورة في مكّة.

من جهة أُخرى، السّورة تخبر النّبي بأنّه سوف لا يبقى بدون عقب، بل إنّ ذريته ستنتشر في الآفاق.

ومن جهة ثالثة، تخبر السّورة بأنّ عدوّه هو الأبتر، وهذه النبوءة تحققت أيضاً، فلا أثر لعدوه اليوم، بنو أُمية وبنو العباس الذين عادوا النّبي وأبناءه كانوا ذا نسل لا يحصى عدده، ولم يبق اليوم منهم شيء يذكر.

٣ ـ «إنّا» بصيغة الجمع، لماذا؟

يلاحظ في السّورة وفي مواضع أُخرى من القرآن أن اللهّ سبحانه ذكر نفسه بصيغة الجمع (ضمير المتكلم مع الغير): (إنا أعطيناك الكوثر).

هذا التعبير لبيان عظمته جلّت قدرته. فالعظماء حين يتحدثون عن أنفسهم،

---

(١) تفسير الفخر الرازي، ج٣٢، ص١٢٤

فلا يعنون بشخصهم فقط بل يخبرون عمن تحت إمرتهم. وهي كناية عن القدرة والعظمة وعن وجود من يأتمر بأمرهم.

الآية الكريمة مؤكّدة بحرف (إنّ) تأكيداً آخر، وعبارة «أعطيناك» تعني هبة اللهّ سبحانه لنبيّه هذا الكوثر، ولم يقل آتيناك. وهذه بشارة كبيرة للنّبي تسلي قلبه أمام تخرصات الأعداء، وتثبت قدمه وتبعد الوهن عن عزيمته؛ وليعلم أن سنده هو اللهّ مصدر كلّ خير وواهب ما عنده من خير كثير.

ربّنا! لا تحرمنا ممّا أنعمت به على نبيّك من خير كثير.

ربّنا! إنّك تعلم مدى حبّنا لرسولك ولذريته الطاهرة، فاحشرنا في زمرتهم.

ربّنا! عظمة رسولك وعظمة رسالته لا تبلغها عظمة، اللّهمّ فزدها عزّة ومنعة وشوكة.

الدرس الخامس: تطبيقات التفسير التجزيئي

من تفسير الميزان

راجع أولا تفسير السيد عبد الله شبر ثم تفسير الميزان لسورة الملحق نهاية هذه الأسئلة، وحاول من خلال التفسير الإجابة على الأسئلة التالية:

١. ما المعنى الإجمالي للسورة الذي فهمته من خلال تفسير السيد عبد الله شبر؟
٢. هناك روايات تذكر المقصود بالكوثر. اذكر ما تراه مهما منها.
٣. بالرجوع لنفس القرآن الكريم، هل هناك ما يرجح أحد المعاني المذكورة للكوثر؟
٤. حاول أن تجد السر في التعبير بـ"أعطيناك" في السورة.
٥. ما المراد بالنحر المذكور في آية: ﴿**فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ**﴾؟
٦. يذكر أن هذه السورة شاهد على إعجاز قرآني. صفه لنا باختصار.

الميزان في تفسير القرآن

للسيد محمد حسين الطباطبائي

سورة الكوثر ١ – ٣

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ * إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (١) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ (٢) إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ (٣)

بيان

امتنان على النبي صلى الله عليه وآله وسلم بإعطائه الكوثر و تطييب لنفسه الشريفة بأن شانئه هو الأبتر، و هي أقصر سورة في القرآن و قد اختلفت الروايات في كون السورة مكية أو مدنية، و الظاهر أنها مكية، و ذكر بعضهم أنها نزلت مرتين جمعا بين

الروايات.

قوله تعالى: «إنا أعطيناك الكوثر» قال في المجمع، الكوثر فوعل و هو الشيء الذي من شأنه الكثرة، و الكوثر الخير الكثير، انتهى.

و قد اختلفت أقوالهم في تفسير الكوثر اختلافا عجيبا فقيل: هو الخير الكثير، و قيل نهر في الجنة، و قيل: حوض النبي ﷺ في الجنة أو في المحشر، و قيل: أولاده و قيل: أصحابه و أشياعه ﷺ إلى يوم القيامة، و قيل: علماء أمته ﷺ، و قيل القرآن و فضائله كثيرة، و قيل النبوة و قيل: تيسير القرآن و تخفيف الشرائع و قيل: الإسلام و قيل التوحيد، و قيل: العلم و الحكمة، و قيل: فضائله ﷺ، و قيل المقام المحمود، و قيل: هو نور قلبه ﷺ إلى غير ذلك مما قيل، و قد نقل عن بعضهم أنه أنهى الأقوال إلى ستة و عشرين.

و قد استند في القولين الأولين إلى بعض الروايات، و باقي الأقوال لا تخلو من تحكم و كيفما كان فقوله في آخر السورة: «إن شانئك هو الأبتر» و ظاهر الأبتر هو المنقطع نسله و ظاهر الجملة أنها من قبيل قصر القلب – أن كثرة ذريته ﷺ هي المرادة وحدها بالكوثر الذي أعطيه النبي ﷺ أو المراد بها الخير الكثير و كثرة الذرية مرادة في ضمن الخير الكثير و لو لا ذلك لكان تحقيق الكلام بقوله: «إن شانئك هو الأبتر» خاليا عن الفائدة.

و قد استفاضت الروايات أن السورة إنما نزلت فيمن عابه ﷺ بالبتر بعد ما مات ابناه القاسم و عبد الله، و بذلك يندفع ما قيل: إن مراد الشانىء بقوله: «أبتر» المنقطع عن قومه أو المنقطع عن الخير فرد الله عليه بأنه هو المنقطع من كل خير. و لما في قوله: «إنا أعطيناك» من الامتنان عليه ﷺ جيء بلفظ المتكلم مع الغير الدال على العظمة، و لما فيه من تطييب نفسه الشريفة أكدت الجملة بإن و عبر بلفظ الإعطاء الظاهر في التمليك.

و الجملة لا تخلو من دلالة على أن ولد فاطمة عليها السلام ذريته صلى الله عليه و آله و سلم، و هذا في نفسه من ملاحم القرآن الكريم فقد كثر الله تعالى نسله بعده كثرة لا يعادلهم فيها أي نسل آخر مع ما نزل عليهم من النوائب و أفنى جموعهم من المقاتل الذريعة.

قوله تعالى: «فصل لربك و انحر» ظاهر السياق في تفريع الأمر بالصلاة و النحر على الامتنان في قوله: «إنا أعطيناك الكوثر» إنه من شكر النعمة و المعنى إذا مننا عليك بإعطاء الكوثر فاشكر لهذه النعمة بالصلاة و النحر.

و المراد بالنحر على ما رواه الفريقان عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم و عن علي عليه السلام وروته الشيعة عن الصادق عليه السلام و غيره من الأئمة هو رفع اليدين في تكبير الصلاة إلى النحر.

و قيل: معنى الآية صل لربك صلاة العيد و انحر البدن، و قيل: يعني صل لربك و استو قائما عند رفع رأسك من الركوع و قيل غير ذلك.

قوله تعالى: «إن شانئك هو الأبتر» الشانىء هو المبغض و الأبتر من لا عقب له و هذا الشانىء هو العاص بن وائل.

و قيل: المراد بالأبتر المنقطع عن الخير أو المنقطع عن قومه، و قد عرفت أن روايات سبب نزول السورة لا تلائمه و ستجيء.

بحث روائي

في الدر المنثور، أخرج البخاري و ابن جرير و الحاكم من طريق أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال: الكوثر الخير الذي أعطاه إياه قال أبو بشر قلت لسعيد بن جبير فإن ناسا يزعمون أنه نهر في الجنة قال: النهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه الله إياه.

و فيه، أخرج ابن أبي حاتم و الحاكم و ابن مردويه و البيهقي في سننه عن علي بن أبي طالب قال: لما نزلت هذه السورة على النبي صلى الله عليه و آله و سلم «إنا أعطيناك الكوثر»

قال النبي ﷺ لجبريل: ما هذه النحيرة التي أمرني بها ربي؟ قال: إنها ليست بنحيرة و لكن يأمرك إذا تحرمت للصلاة أن ترفع يديك إذا كبرت و إذا ركعت و إذا رفعت رأسك من الركوع فإنها صلاتنا و صلاة الملائكة الذين في السماوات السبع، و أن لكل شيء زينة و زينة الصلاة رفع اليدين عند كل تكبيرة. قال النبي ﷺ: رفع اليدين من الاستكانة التي قال الله: «فما استكانوا لربهم و ما يتضرعون»:. أقول: و رواه في المجمع، عن المقاتل عن الأصبغ بن نباتة عنه عليه السلام ثم قال: أورده الثعلبي و الواحدي في تفسيرهما، و قال أيضا: إن جميع عترته الطاهرة رووا عنه عليه السلام: أن معنى النحر رفع اليدين إلى النحر في الصلاة.

و فيه، أخرج ابن جرير عن أبي جعفر في قوله: «فصل لربك» قال: الصلاة «و انحر» قال يرفع يديه أول ما يكبر في الافتتاح.

و فيه، أخرج ابن مردويه عن ابن عباس في قوله: «فصل لربك و انحر» قال: **إن الله أوحى إلى رسوله أن ارفع يديك حذاء نحرك إذا كبرت للصلاة فذاك النحر.**

و في المجمع، في الآية عن عمر بن يزيد قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول في قوله «فصل لربك و انحر» هو رفع يديك حذاء وجهك:. أقول: ثم قال: و روى عنه عبد الله بن سنان مثله، و روي أيضا قريبا منه عن جميل عنه عليه السلام.

و في الدر المنثور، أخرج ابن سعد و ابن عساكر من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: كان أكبر ولد رسول الله ﷺ القاسم ثم زينب ثم عبد الله ثم أم كلثوم ثم فاطمة ثم رقية فمات القاسم و هو أول ميت من ولده بمكة ثم مات عبد الله فقال العاص بن وائل السهمي قد انقطع نسله فهو أبتر فأنزل الله «إن شانئك هو الأبتر».

و فيه، أخرج الزبير بن بكار و ابن عساكر عن جعفر بن محمد عن أبيه قال:

توفي القاسم بن رسول الله بمكة فمر رسول الله ﷺ و هو آت من جنازته على العاص بن وائل و ابنه عمرو فقال حين رأى رسول الله ﷺ: إني لأشنؤه فقال العاص بن وائل: لا جرم لقد أصبح أبتر فأنزل الله «إن شانئك هو الأبتر».

و فيه، أخرج ابن أبي حاتم عن السدي قال: كانت قريش تقول إذا مات ذكور الرجل بتر فلان فلما مات ولد النبي ﷺ قال العاص بن وائل: بتر و الأبتر الفرد.

أقول: و في بعض الآثار أن الشانىء هو الوليد بن المغيرة، و في بعضها أبو جهل و في بعضها عقبة بن أبي معيط، و في بعضها كعب بن الأشرف، و المعتمد ما تقدم. و يؤيده ما في الاحتجاج الطبرسي، عن الحسن بن علي عليهما السلام: في حديث يخاطب فيه عمرو بن العاصي: و أنك ولدت على فراش مشترك فتحاكمت فيك رجال قريش منهم أبو سفيان بن حرب و الوليد بن المغيرة و عثمان بن الحارث و النضر بن الحارث بن كلدة و العاص بن وائل كلهم يزعم أنك ابنه فغلبهم عليك من بين قريش ألأمهم حسبا و أخبثهم منصبا و أعظمهم بغية. ثم قمت خطيبا و قلت: أنا شانىء محمد و قال العاص بن وائل: إن محمدا رجل أبتر لا ولد له قد مات انقطع ذكره فأنزل الله تبارك و تعالى: «إن شانئك هو الأبتر».الحديث.

و في تفسير القمي،: «إنا أعطيناك الكوثر» قال: الكوثر نهر في الجنة أعطى الله محمدا ﷺ عوضا عن ابنه إبراهيم.

أقول: الخبر على إرساله و إضماره معارض لسائر الروايات و تفسير الكوثر بنهر في الجنة لا ينافي التفسير بالخير الكثير كما تقدم في خبر ابن جبير.

الدرس السادس: تطبيق على التفسير الموضوعي

عمل بحثي

راجع الملحق من كتابي «نفحات القرآن» للشيخ ناصر مكارم الشيرازي و«مفاهيم القرآن» للشيخ جعفر السبحاني المأخوذة من الجزء الذي يتحدث عن التوحيد في كل من الكتابين.

اعمل مع زميل لك في تلخيص علاقة توحيد الله تعالى بفطرة الإنسان.

استعن بهذه العناوين:

١. البحث عن الله تعالى فطري.
٢. تظهر الفطرة وقت الشدة.
٣. فطرية الاعتقاد بوجود الله تعالى.
٤. عهد عالم الذر.

نفحات القرآن

للشيخ ناصر مكارم الشيرازي

الطريق الباطني لمعرفة الله

تمهيد

(الإدراكات العقلية) ـ كما نعلم ـ تشكّل جزءً من المضمون الروحي لدى الإنسان ، أي أنّ الإنسان لا يصل إلى كلّ شيء عن طريق الدليل العقلي، بل إنّ المتطلّبات والمكتسبات الفطرية الغريزية تشكّل جزءً مهمّاً من المحتوى الروحي فيه، حتّى انّ الأساس في الكثير من الأدلّة العقلية قائم على هذه المكتسبات الفطرية، في حين تنشأ المتطلّبات والمكتسبات في الحيوانات عن طريق الغريزة

فقط.

وعليه فانّ الذين قاموا بتحديد الإنسان بالبعد العقلي لم يعرفوا تمام الأبعاد الوجودية للإنسان في الحقيقة.

ومن المتّفق عليه أنّ طريق الباطن طريق مهمّ في مسألة (معرفة الله) التي لها طرق لا تحصى ، والإنسان هنا يسلك أقصر الطرق ، فبدلا من (المعرفة) يصل إلى (الوجدان)، ومن (التفكير) إلى (الرؤية)، بدلا من إعداد (المقدّمات) يصل إلى ذيّها.

انّه طريق عظيم ، مثير ومريح.

وقد إعتمدت آيات قرآنية عديدة على هذا المعنى وجاءت بتعابير جميلة .

بعد هذا التمهيد نصغي خاشعين إلى الآيات الآتية:

١ ـ ﴿**فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنيفاً فِطْرَتَ الله الّتي فَطَرَ النّاسَ عَلَيْها لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ الله ذلكَ الدّينُ القَيِّمُ وَلكنَّ أَكْثَرَ النّاسِ لا يَعْلَمونَ**﴾ ـ الروم: ٣٠ .

٢ ـ ﴿**وَإذا مَسَّ النّاسَ ضرٌّ دَعَوْا رَبَّهمْ مُنْيبينَ إلَيه ثُمَّ إذا أَذاقَهُمْ منْهُ رَحْمَةً إذا فَريقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ**﴾ ـ الروم: ٣٣ .

٣ ـ ﴿**فَإذا رَكِبُوا في الفُلْكِ دَعَوا اللهَ مُخلِصيْنَ لَهُ الدّينَ فَلَمّا نَجّاهُمْ إلى البَرِّ إذا هُمْ يُشِركُونَ**﴾ ـ العنكبوت: ٦٥ .

٤ ـ ﴿**هُوَ الّذي يُسَيّركُمْ في البَرّ والبَحْرِ حَتّى إذا كُنْتُم في الفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بريح طَيِّبَة وَفَرِحُوا بِها جاءَتْها رِيحٌ عاصِفٌ وَجاءَهُمُ المَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكان وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحيطَ بِهِمْ دَعَوا اللهَ مُخْلِصينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أنجيْتَنا مِنْ هذِهِ لَنكونَنَّ مِنَ الشّاكِرِينَ * فَلَمّا أَنْجاهُمْ إذا هُمْ يَبْغُونَ في الأَرْضِ بِغَيرِ الحَقّ**﴾ ـ يونس: ٢٢ و٢٣.

٥ ـ ﴿**وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمواتِ والأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ العزيزُ**

العَليمُ﴾ ـ الزخرف: ٩ .

٦ ـ ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللهُ فَأَنَّى يُؤفَكُونَ﴾ ـ الزخرف: ٨٧ .

٧ ـ﴿وَلَئِنْ سأَلْتَهمُ مَنْ خَلَقَ السَّمواتِ والأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمسَ والقَمرَ لَيقُولُنَّ اللهُ فَأَنّى يُؤْفَكُونَ﴾ ـ العنكبوت:٦١ .

٨ ـ ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّماءِ والأَرْضِ أَمَّن يَمْلُك السَّمعَ والأَبْصارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ وَيُخْرِجُ المَيِّتَ مِنَ الحيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللهُ فَقُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ﴾ ـ يونس: ٣١ .

٩ ـ﴿قُلْ لِمَنْ الأَرضُ وَمَنْ فيها إنْ كُنْتُم تَعلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لله قُلْ أَفَلا تَذَكَّرُونَ *قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمواتِ السَّبْعِ وَرَبّ العَرْشِ العَظِيمِ * سَيَقُولُونَ لله قُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ * قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلكُوتُ كُلِّ شَيء وَهُوَ يُجيرُ وَلا يُجارُ عَلَيْهِ إن كُنْتُم تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ للهِّ قُلْ فَأَنّى تُسْحَرُونَ﴾ ـ المؤمنون: ٨٤ ـ ٨٩ .

١٠ ـ ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَني آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُم قَالُوا بَلى شَهِدْنا أَنْ تَقُولُوا يَومَ القِيَامةِ إِنّا كُنّا عَنْ هذا غافِلِينَ﴾ ـ الأعراف: ١٧٢ .

شرح المفردات

(فطرة) من (فَطْر) وتعني ـ كما أسلفنا ـ الشقّ طولا ثمّ أطلق على كلّ شيء، والشقّ ربّما يكون للهدم وربّما للإصلاح ولذا يستعمل للمعنيين.

وبما أنّ (الخلق) بمثابة شقّ ستار العدم المظلم، يكون أحد المعاني المهمّة لهذه المفردة هو الإيجاد والخلق ولنفس السبب يعطي معنى الإبداع والإختراع أيضًا.

كما يطلق لفظ (الأفطار) على هدم الصيام لهذا الأمر حيث ينشقّ الصيام (وهو فعل متصل ومستمرّ) بالأكل ونظائره.

كما يستعمل هذا اللفظ في نمو النباتات أيضاً وذلك لإنشقاق الأرض

وخروج النباتات منها، كما يطلق على عملية استخراج اللبن من الضرع باصبعين، فكأنّه ينشقّ ويخرج منه اللبن.

نقل عن ابن عبّاس قوله: لم أعرف معنى (فاطر السموات والأرض) جيّداً حتّى جاء إليّ رجلان عربيان يتنازعان على بئر ، فقال أحدهما لإثبات ملكيته:

أنا فطرتها بمعنى (أنا حفرتها)، هنا أدركت أنّ (فطرة) تعني الإيجاد والإبتداء في الشيء.

ويطلق على الحبوب التي تظهر في وجوه البنين والبنات اسم (تقاطير) أو (نفاطير)[1].

واعتبار بعض اللغويين مفردة (فطرة) بمعنى الدين والشرع إنّما هو لوجودها في خلقة الإنسان كما سيأتي.

جمع الآيات وتفسيرها

الخلق الثابت والراسخ

الآية الأُولى التي تصرّح بأنّ (الدين) أمر فطري وتخاطب النبي ﷺ: ﴿**فَأَقِمْ وَجْهَكَ للدِّينِ حَنيفاً**﴾[2].

ومن أجل التعليل أو التشجيع على هذا الأمر تقول الآية بعد ذلك: ﴿**فِطْرَتَ اللهِ الّتي فَطَرَ النّاسَ عَلَيْها**﴾[3].

وبما أنّ من المسلّمات وجود الإنسجام بين (التشريع) و (التكوين) حيث لا

---

(١) لسان العرب ، مفردات الراغب ، نهاية ابن الأثير ، ومجمع البحرين

(٢) (حنيف) من (حنف) ويعني كلّ ميل أو إنحراف وجاء بمعنى الميل من الضلال إلى الصدق ، ومن الباطل إلى الحقّ والتعبير بـ (وجه) هنا كناية عن الذات ، لأنّ الوجه أهمّ عضو في الجسم وتقع فيه الحواس الهامّه كحاسّة البصر والسمع والذوق والشمّ .

(٣) توجد أقوال كثيرة حول تعليل النصب في (فطرة الله) ومنها انّها بتقدير (اتّبع) و (الزم)

يمكن وجود أمر متأصّل في خلق الإنسان غير منسجم مع سلوكه يمكن أن يكون هذا التعبير دليلا على وجوب العمل بأصل التوحيد ونفي كلّ شرك .

وللمزيد من التأكيد تقول الآية بعد ذلك : ﴿**لا تَبْديلَ لِخَلْقِ الله**﴾[1].

وهذا يعني انّ ما يتجذّر في أعماق الوجود الإنساني يستمرّ كأصل ثابت وراسخ ـ وكما سيتوضّح لنا في الإيضاحات ـ فانّ هذه الجملة لها معنى غزير واعجازي حيث تشير الدراسات الحديثة التي يجريها المفكّرون إلى انّ العلاقات الدينية في التاريخ هي من أشدّ العلاقات الإنسانية تجذّراً وستبقى راسخة .

بيد أنّ فئة جاهلة وغافلة تقوم بإفساد هذه الفطرة الطاهرة بالشرك ، ولذا يؤكّد القرآن على المحافظة عليها بذكر كلمة (حنيفاً).

وللمزيد من التأكيد تضيف الآية﴿**ذلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ**﴾.

كلمة (قيّم) من (قيام) وإستقامة بمعنى الثابت والراسخ والمستقيم كما جاءت بمعنى القائم بشؤون المعاد والمعاش في الإنسان[٢].

وبما أنّ الكثير من الناس يغفلون عن هذه الحقيقة ويبتلون بأنواع من عبادة الأصنام ، تقول الآية في ذيلها (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) الجدير بالذكر على انّ الفطرة التي جاءت في الآية لا تشمل التوحيد فقط بل تشمل الدين بجميع أُصوله وفروعه وستتطرّق إليها في التوضيحات ان شاء الله تعالى.

---

(١) يقول بعض المفسّرين بأنّ (لا) في (لا تبديل لخلق الله) نافية وتعطي معنى النهي (مجمع البيان والميزان وتفسير أبي الفتوح الرازي) ولكن كما قلنا فانّ النفي أنسب وأجمل (فتأمّل جيّداً)

(٢) مفردات الراغب وكتب لغوية أُخرى.

عند مواجهة الأزمات

في الآيات الثانية والثالثة والرابعة التي يدور البحث حولها (وبتعابير مختلفة) إشارة إلى قضيّة عامّة وهي أنّ الإنسان حينما يواجه الصعاب والبلاء الشديد ويعجز عن إستخدام الوسائل الطبيعية يلجأ إلى فطرته الأصيلة فيشرق في أعماق قلبه نور المعرفة الإلهية بعد إختفائه ، ويتذكّر مبدأ العلم والقدرة الذي لا نظير له والذي يسهل عليه حلّ المشكلات كلّها .

تقول الآية في موضع : ﴿**وإذا مَسَّ الناسَ ضُرٌّ دَعَوا ربَّهم مُنيبين إلَيه**﴾.

ولكن بعد سكون الأعاصير وهبوب رياح الرحمة، فانّ مجموعة منهم يشركون ﴿**ثُمَّ إذا اذاقَهُم مِنه رَحمَةً اذا فَريقٌ مِنهُم بِربِّهم يُشرِكون**﴾.

وفي موضع آخر يذكر هذا المعنى مقروناً بذكر مصداق واضح عن الصعاب والمشكلات حيث تقول الآية: (فإذا ركبوا في الفُلك «وأحاطت بهم الأمواج العظيمة والأعاصير المخيفة وامتلأت قلوبهم رعبًا وهلعًا» ﴿**دَعوا اللهَ مُخلِصِين لَه الدّينَ فَلَمّا نَجّاهُم إلى البرِّ إذا هُم يُشركون**﴾) .

وقد أشارت آية أُخرى إلى أخطار البحر هذه ، بصورة جميلة أُخرى حيث تقول بأنّ الله هو الذي يُسيّركم في الصحاري والبحار وعندما تركبون السفينة وتحرّككم الرياح الطيّبة الهادئة إلى أهدافكم والجميع يغمرهم الفرح والسرور ، وفجأة تهبّ الأعاصير ويهيج البحر وتأتي الأمواج من كلّ جهة نحو الراكبين في السفينة حتّى يروا الموت بأعينهم وينتابهم اليأس من الحياة يتذكّرون الله فيدعونه مخلصين ويعاهدونه على أن يكونوا شاكرين له إذا نجّاهم من الهلاك (شكراً مصحوباً بالمعرفة).

(هو الذي يسيركم في البر والبحر حتّى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءها ريح عاصف وجاءهم الموج من كلّ مكان وظنّوا انّهم أُحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من

الشاكرين).

ولكن هؤلاء عندما ينجّيهم الله من الأخطار الموحشة ويوصلهم إلى ساحل الأمان ينسون عهدهم مع الله فيشرعون مرّة أُخرى بالظلم بدون حقّ فيسلكون طريق الشرك وهو من أعظم الظلم ويظلمون الذين تحت أيديهم مغرورين بالنعمة التي هم فيها: (فلمّا أنجاهم إذا هم يبغون في الأرض بغير الحقّ).

كما يلاحظ هذا المعنى في أيتين أُخريين ، ففي موضع تقول الآية :

﴿فَإذا مَسَّ الإِنْسانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إذا خَوَّلْناهُ نِعْمَةً مِنّا قَالَ إنَّما أُوتِيتُهُ عَلى عِلْمٍ﴾ (الزمر: ٤٩) وفي موضع آخر تقول الآية: **﴿وَإذا مَسَّ الإِنْسانَ الضُرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أو قاعِداً أو قائماً فَلَمّا كَشَفْنا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنا إلى ضُرٍّ مَسَّهُ﴾** (يونس: ١٢).

هذه الآيات الخمس مع انّها تقصد حقيقة واحدة، بيد أنّ كلّ آية تتمتّع بخصوصية ولطافة ولحن خاصّ، ففي آية ذكر لأنواع الأضرار والمشكلات والأذى وهذه تشمل أنواع الأمراض والبلاء والقحط والآفات والمشكلات.

وفي آية أُخرى إشارة إلى أخطار البحر فقط (من قبيل الأعاصير والأمواج ودوران المياه والحيوانات الخطرة فيه والضلال عن الطريق وأمثالها) .

وفي آية أُخرى تركيز على أخطار الأعاصير والأمواج.

وفي آية أُخرى حديث عن سير ، الإنسان في طريق الشرك بعد ذلك.

وفي آية أُخرى ذكر لطريق البغي والظلم الذي له مفهوم أوسع من الشرك.

وفي آية أُخرى إشارة إلى انهم يعتبرون المشكلات ناشئة من الله امّا النعم فانّها منهم ، ونقرأ في آية انّهم يشركون بأجمعهم وتذكر آية أُخرى فئة منهم وذلك لإختلاف المجتمعات البشرية فبعضها من الفئة الأُولى وبعضها من الفئة الثانية.

وتقول آية أُخرى انّهم يعاهدون الله عند البلاء عهداً ينسونه عند إستقرار

الأوضاع، وفي آية أُخرى يكون الحديث عن الدعاء والطلب من الله تعالى.

وتقول آية أُخرى: انّهم إذا أصابهم شيء من الضرر (التعبير بـ « مسّ » فيه إشارة إلى هذا المعنى)، ولكن في آية أُخرى انّهم عندما ينتابهم اليأس من الحياة يقبلون على الله ، ولعلّ هذا الإختلاف إشارة إلى مختلف أفراد البشر حيث يكون البعض من القسم الأوّل والبعض الآخر من القسم الثاني.

وقد ذكرت كلمة (الإخلاص) في الكثير من الآيات ، حيث تشير إلى رفض كلّ معبود سوى الله الواحد وتدلّ على انّهم حين الدعة والراحة يعبدون الله أيضاً، ولكنّهم يعبدون معه أنداداً له وهي التي ينسونها وتختفي عند ظهور الأمور العاتية أو الأعاصير الموحشة، ويغمر نور التوحيد والوحدانية قلوبهم ويضيء وجودهم.

وجاء في تفسير (روح البيان) انّ عبدة الأوثان في الرحلات البحرية (التي كانت مفعمة بالأخطار دائماً وكانت أشدّ في العصور القديمة لعدم تيسّر الأدوات اللازمة) كانوا يحملون الأصنام معهم وعند حدوث الأعاصير العاتية يلقون بها في البحر ويصرخون ياربّ ياربّ!![1].

والأعجب انّهم كانوا يسمعون من النبي ﷺ جميع الأدلّة المنطقية، الناصعة، لكنّهم لم يؤمنوا، في حين كانوا يقبلون على الله بكلّ وجودهم عندما تهاجمهم الأحداث العاصفة، وهذا ممّا يشير إلى انّ طريق الفطرة أوضح وأيسر للكثير من الناس من الطرق الأُخرى.

وجدير ذكره انّ القرآن الكريم يحذّر الذين يستجيبون لنداء الفطرة عند المشكلات وينسونه عند إرتفاعها ، ويلفت أنظارهم ببيان جميل بقوله: ﴿**أَفَأَمِنْتُم**

(١) روح البيان : ٦/ ٤٩٣



﴿أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جانِبَ البَرِّ أو يُرسَلَ عَلَيكُمْ حاصِباً ثُمَّ لا تَجِدُوا لكُمْ وَكيلا﴾ (الإسراء: ٦٨).

هل هناك إلهان أحدهما للبحر والآخر للبرّ؟! أم انّ الله مقتدر في البحر ولا قدرة له في البرّ ؟! انّه قادر بأمر واحد للأرض أن تفتح فاها بزلزالها لتبلع مُدنكم ولا يبقى من خرائبها شيئاً[1].

وقد حدث مراراً أن تهب الأعاصير وتحمل الحصى والرمال إلى السماء وتلقيها في نقاط اُخرى، وقد تطمر تحتها قافلة بأكملها.

الله الذي يأمر الأمواج في البحار ـ إذن ـ قادر على أن يتّخذ من الأعاصير والزلازل في الصحاري جنوداً يهلك بهم الفاسدين.

ويتبع هذه الآية جواب آخر حيث يقول:

﴿أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعيْدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرى فَيُرسِلَ عَلَيْكُمْ قاصِفاً مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُمْ بِما كَفَرْتُمْ ثُمَّ لا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَينا بِهِ تَبيعاً﴾ (الإسراء: ٦٩)

أي أنّكم تظنّون أنّ هذه هي رحلتكم البحرية الأخيرية ؟ انّه خطأ كبير .

إقرار المشركين

وتتضمّن الآية الخامسة حتّى التاسعة من آيات البحث حديثاً عن هذا المضمون:

﴿**ولئن سألتهم مَن خلق السموات والأرض ليقولنّ خلقهنّ العزيز العليم**﴾

وأيضاً: ﴿**ولئن سألتهم مَن خلقهم ليقولنّ الله**﴾.

---

(١) قبل عدّة سنوات وقع زلزال في شمال افريقيا وفيه ابتلعت الأرض قرية كاملة ولم يعثروا حتّى على خرائبها

التفسير

وأيضاً: **﴿قل مَن يرزقكم من السماء والأرض أمّن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميّت ويخرج الميّت من الحي ومن يدبّر الأمر فسيقولون الله﴾**.

ولو انهم ـ عبدة الأوثان ـ سألوا عن خلق كلّ فرد من المخلوقات وتدبير اُمورها فانّهم يقرّون بأنّ الله وحده هو الخالق والمدبّر!!

انّ هذه الآيات القرآنية وأمثالها[1] من التعابير الحيّة عن التوحيد الفطري، ومن الممكن أن تكون هذه الإجابة المتناسقة نتيجة للإستدلال العقلي أيضاً وذلك عن طريق برهان النظم، ولكن بملاحظة انّ المشركين العرب اُناسٌ اُمّيون وبعيدون عن العلم والفكر والإستدلال، فانّ هذا التناسق في الإجابة يدلّ على انّها كانت تنبع من فطرتهم وهم في ذلك سواء وبدون استثناء، وإلاّ فانّ الإستدلالات العقلية مهما كانت واضحة فانّها لا يمكن أن تكون شاملة وعامّة إلى هذه الدرجة وخاصّة بين جماعة بعيدة عن العلم والفكر.

من هنا فانّا نعتقد انّ الآيات الخمس أو أمثالها تشكّل أدلّة على التوحيد الفطري .

ولذا يقول صاحب تفسير (روح البيان) في ذيل الآية ٩ من سورة الزخرف.

«وفي الآية إشارة إلى انّ في جبلة الإنسان معرفة لله مركوزة »[2]

وفي تفسير (الفخر الرازي) في ذيل الآية ٨٧ من سورة الزخرف عرض لهذا المضمون على صورة سؤال وجواب فيقول: «ظنّ قوم أنّ هذه الآية وأمثالها في

(١) لآية ٦٣ من سورة العنكبوت ، والآية ٢٥ سورة لقمان ، والآية ٣٨ سورة الزمر

(٢) روح البيان : ج٨ ، ص٣٥٣ ، وفي ذيل الآية ٨٧ من سورة الزخرف أيضاً إشارة إلى هذا المعنى أيضاً



القرآن تدلّ على أنّ القوم مضطرون إلى الإعتراف بوجود الإله للعالم، وقوم إبراهيم قالوا: (وانّا لفي شكّ ممّا تدعوننا إليه) فيقال لهم: لا نسلّم انّ قوم فرعون كانوا منكرين لوجود الإله، والدليل على قولنا، قوله تعالى: ﴿**وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً**﴾ (النمل: ١٤) وقال موسى لفرعون: (لقد علمتَ ما أنزل هؤلاء إلاّ ربّ السموات والأرض بصائر) فالقراءة بفتح التاء في علمت تدلّ على انّ فرعون كان عارفاً بالله ، وأمّا قوم إبراهيم حيث قالوا: (وإنّا لفي شكّ ممّا تدعوننا إليه) فهو مصروف إلى إثبات القيامة وإثبات التكاليف وإثبات النبوّة)[1]

وفي التعبير بـ (لقد علمت ....) إشارة واضحة إلى هذا المعنى.

والطريف أنَّ آيتين من هذه الآيات تذكران في النهاية بعد أخذ الإقرار من الكفّار والمشركين بأنَّ الله هو الخالق للإنسان والأرض والسماوات (فأنّى تؤفَكون)[2]

وبناء الجملة للمجهول إشارةٌ إلى أنَّ ذواتهم تسير في طريق الفطرة ، غير أنَّ أسباباً خارجية وهي (شياطين الجنّ والإنس)، وأسباباً داخلية وهي (أهواء النفس والعصبية الجاهلية) تحرّفهم عن الحقّ رغم تجذّره في أعماق فطرتهم .

في حين جاء التعبير في موضع آخر بـ (فأنّى تُسحَرُون) بصيغة المبني للمجهول ، وهي عبارة تطلق على من يتّبع أمراً دون إرادة.

ويوجد إحتمال آخر في تفسير هذه الآيات وهو أنّهم كانوا يقولون بأنَّ رسول

---

(١) التفسير الكبير : ج٨ ، ص٣٩٩ وج٢٧ ، ص٢٣٣ .

(٢) تؤفكون مشتق من (الإفك) ويعني الإرجاع والحرف ولذا يطلق (الإفك) على الكذب أيضاً كما تطلق (المؤتفكات) على الرياح المعارضة

الإسلام ﷺ يريد أنْ يحرفنا عن طريق الحقّ أو أنّه ساحر قد سحرنا. فردّ عليهم القرآن: مع أنّكم تُقرّون بأنَّ الله هو خالق السماء والأرض والشمس والقمر والبشر ، وهو المدبّر لهذا الكون فكيف يحرفكم أو يسحركم من يدعوكم إلى عبادته ونبذ عبادة غيره ؟ أي عقل يحكم بهذا ؟!

إنّ الكثير من المفسّرين ومنهم (الطبرسي في مجمع البيان والعلاّمة الطباطبائي في الميزان والفخر الرازي في التفسير الكبير والآلوسي في روح المعاني والقرطبي في تفسيره) اختاروا التفسير الأوّل وإن لم يبعد التفسير الثاني عن مفهوم الآية .

عهد عالم الذرّ

الآية العاشرة والأخيرة في هذا البحث تذكر تعبيراً آخر بصياغة جديدة حول التوحيد الفطري ولا نظير لها في الآيات القرآنية الأُخرى، وبسبب المحتوى المعقّد لهذه الآية دارت أحاديث مطوّلة بين العلماء والمفسّرين والمتكلّمين وأرباب الحديث، نورد ـ بصورة إجمالية ـ آراءهم المختلفة ثمّ رأينا المختار بعد الفراغ من تفسيرها .

تقول الآية الكريمة: ﴿**وإذْ أَخَذَ ربُّكَ مِنْ بَني آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيتُهم وَأشْهَدهُم عَلى أنفُسِهِمْ ألسْتُ بِربِّكُمْ**﴾ فقالوا جميعاً: ﴿**بلى شَهدنا**﴾ وتُضيفُ الآية بأنَّ الله تعالى فعل ذلك لئلاّ يقولوا يوم القيامة إنّا غفلنا عن هذا الأمر (وهو التوحيد ومعرفة الله): ﴿**أنَ تَقُولوا يَومَ القيامةِ إنّا كنّا عن هذا غافِلين**﴾ أو يتشبّثوا بحجّة (التقليد) بدلا عن حجّة (الغفلة) وتقولوا: ﴿**إنّما أشْرَكَ آباؤُنا مِنْ قَبلُ وكنّا ذُرّيةً منْ بَعْدِهمْ أفتُهلِكُنا بِما فَعَلَ المُبطلُون**﴾ هذه الآيات تكشف عن حقائق بصورة إجمالية ، منها:

١ـ أنّ الله تعالى أظهرجميع ذرّية آدم إلى يوم القيامة في مرحلة من الخلق.

٢ ـ أنّ الله سبحانه أشهدهم على أنفسهم وأخذ الإقرار منهم بربوبيته .



٣ ـ استهدف أخذ الإقرار والإعتراف والشهادة أمرين:

أوّلا : عدم السماح للمشركين لإدّعاء الغفلة والجهل عن حقيقة التوحيد ووحدانية الله يوم القيامة.

وثانياً: منعهم من اتّخاذ التقليد لآبائهم ذريعة لإرتكاب المعاصي.

وأهمّ سؤال يُطرح هو: متى وقع هذا (الظهور)؟ وبأيّة صورة تمّ ذلك؟ وما المراد من (عالم الذرّ)؟ وكيف تحقّق هذا الأمر؟ هناك ستّة أقوال على الأقل للإجابة عن هذا السؤال، وقد أيّد كلَّ واحد منها جماعة من المفكّرين الإسلاميين:

١ ـ طريق المحدّثين وأهل الظاهر حيث يقولون: أنّ المراد هو ما ورد في بعض الأحاديث من أنّ ذريّة آدم بأجمعهم قد خرجوا من ظهره على شكل ذرّات دقيقة وملؤا الفضاء وكانت تتمتّع بالعقل والإحساس والقدرة على النطق، فخاطبهم الله عزّوجلّ وسألهم: (ألست بربّكم؟) فقالوا جميعاً: (بَلى)؛ وبذلك أخذ العهد الأوّل على التوحيد . وكان بنو الإنسان بأنفسهم شاهدين على ذلك[1]

٢ ـ المراد من عالم الذرّ وتفسير الآية أعلاه هو الذرّات الأُولى لوجود الإنسان أي النطفة التي انتقلت من ظهور الآباء إلى أرحام الأُمّهات وتبدّلت في المراحل الجنينية إلى صورة إنسان كامل تدريجياً وقد أعطاها الله عزّوجلّ في ذلك الحال القوى والقابليات المختلفة كي تدرك حقيقة التوحيد ومنهاج الحقّ ، وقد جعل

(١) يقول العلاّمة المجلسي في شرح أُصول الكافي (مرآة العقول) عن هذه الحقيقة : (طريقة المحدّثين والمتورّعين فانّهم يقولون نؤمن بظاهرها ولا نخوض فيها، ولا نطرق فيها التوجيه والتأويل) الجزء ٧ ، ص٣٨ والفخر الرازي ينسب ذلك إلى المفسّرين والمحدّثين (الجزء ١٥ ، ص٤٦) .

هذه الفطرة التوحيدية ملتحمة بوجوده.

يذهب إلى هذا التفسير جمع من المفسّرين كصاحب تفسير (المنار) و(في ظلال القرآن) ونقلوا ذلك عن الكثير من المفسّري[1] .

بهذا يكون (عالم الذرّ) هو عالم الجنين ويكون السؤال والجواب بلسان الحال لا القال؛ ولهذا الأمر شواهد ونظائر كثيرة وردت في كلمات العرب وغيرهم؛ كما ينقل السيّد المرتضى في كلامه عن بعض الحكماء حيث يقول : « سَل الأرض من شقّ أنهارك وغرس أشجارك وجنى ثمارك ؟ فإنْ لم تُجبك حواراً أجابتك اعتباراً» .

هذا القول يشابه ما ذكره جمع من المفسّرين حول الحمد والتسبيح اللذين يعمّان موجودات العالم حتّى الجمادات أيضاً.

٣ ـ المراد من (عالم الذرّ) هو (عالم الأرواح) ويعني ذلك أنّ الله عزّوجلّ خلق في البداية أرواح البشر قبل أجسادهم ، وخاطبها وأخذ الإقرار منها على وحدانيته.

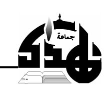
وقد إستخلص هذا التفسير من بعض الروايات كما سنشير إليه.

والجدير ذكره أنَّ كلمة (ذرّية) في آية البحث مشتقّةٌ من (ذرّ) وهي تعني ذرّات الغبار الدقيقة ، أو النمل الدقيق أو أجزاء النطفة أو من (ذرْو) ويعني التفريق أو من (ذرْء) ويعني الخلق .

بناءً على ذلك لا نسلّم بأنّ الأصل في (ذرّية) هو (ذرّ) بمعنى الأجزاء الدقيقة (فتأمّل جيّداً) .

---

(١) تفسير المنار : ج٩ ، ص٣٨٧ (تعبيره ينسجم مع القول الخامس)، في ظلال القرآن ج٣ ، ص٦٧١



٤ ـ إنَّ هذا السؤال والجواب وقع بين جمع من البشر وبين الله عزّوجلّ بواسطة الأنبياء وبلسان القال حيث إستمع جمع من البشر إلى أدلّة التوحيد ـ بعد ولادتهم وإكتمال عقولهم ـ من الأنبياء وإستجابوا لها وقالوا (بلى).

فإنْ قيل إنّ ذريّة مشتقّة من (ذرّ) هذا القول : بأنَّ أحد المعاني المعروفة لـ (ذريّة) هو الأبناء ـ صغاراً وكباراً ـ وأنّ إطلاق (ذريّة) على العقلاء والبالغين في القرآن الكريم ليس بالقليل .

وقد ذكر السيّد المرتضى رحمه الله هذا التفسير ـ في بعض كلماته ـ على شكل إحتمال في إيضاح الآية المذكورة، كما أنّ أبا الفتوح الرازي قد أورد هذا التفسير كإحتمال في تفسيره إضافةً إلى وجود إشارة إلى ذلك في تفسير الفخر الرازي في ذيل الآية[1]

٥ ـ انّ هذا السؤال والجواب هو مع البشر بأجمعهم بلسان الحال وذلك بعد البلوغ والكمال والعقل ، فكلّ إنسان يقرّ بعد إكتمال عقله ومشاهدته لآيات الله في الآفاق والأنفس بوحدانية الله بلسان حاله ، وكأنّ الله عزّوجلّ يسألهم بإرائة هذه الآيات (ألست بربّكم)؟ فيجيبون بلسان الحال: (بلى) وأمّا الحديث بلسان القال فإنّ له شواهد ونظائر كثيرة .

وهذا التفسير ينقله الشيخ الطوسي رحمه الله في التبيان عن البلخي والرمّاني.[2]

٦ ـ وهو التفسير الذي إختاره العلاّمة الطباطبائي رحمه الله في (الميزان): بعد أن ذهب إلى إستحالة أن يكون للبشر وجود مستقل سابقاً مقروناً بالحياة والعقل

---

(١) تفسير أبي الفتوح الرازي : ج٥ ، ص٣٢٦

(٢) تفسير التبيان : ج٥ ، ص٢٧ (وفي تفسير المنار تعبير يقرب من هذا المعنى ج٩ ، ص٣٨٦)

والشعور وقد أخذ الله منهم العهد على وحدانيته ثمّ أعادهم إلى حالتهم السابقة كي يجتازوا مسيرتهم الطبيعية، وبذلك يأتون إلى الدنيا مرّتين فقال:

وأثبت بقوله: ﴿**إنّما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون فسبحان الذي بيده ملكوت كلّ شيء**﴾ (يس: ٨٣)، وقوله: ﴿**وما أمرنا إلاّ واحدة كلمح بالبصر**﴾ (القمر: ٥٠). انّ هذا الوجود التدريجي للأشياء ومنها الإنسان هو أمر من الله يفيضه على الشيء ويلقيه إليه بكلمة (كن) إفاضة دفعية والقاء غير تدريجي، فلوجود هذه الأشياء وجهان، وجه إلى الدنيا وحكمه أن يحصل بالخروج من القوّة إلى الفعل تدريجاً، ومن العدم إلى الوجود شيئاً فشيئاً ويظهر ناقصاً ثمّ لا يزال يتكامل حتّى يفنى ويرجع إلى ربّه، ووجه إلى الله سبحانه وهو بحسب هذا الوجه اُمور تدريجية وكلّ ما لها فهو لها في أوّل وجودها من غير أن تحتمل قوّة تسوقها إلى الفعل ... وبعبارة اُخرى: انّ الموجودات لها نوعان من الوجود، الأوّل : الوجود الجمعي عند الله تعالى والذي يعبّر عنه القرآن الكريم بالملكوت، والآخر: الوجودات المتناثرة التي تظهر تدريجياً بمرور الزمان.

وبهذا تكون حياة الإنسان في الدنيا مسبوقة بحياة إنسانية اُخرى لا يكون فيها أحد محجوباً عن الله تعالى ، وقد شاهده هناك كلُّ موجود بالشهود الباطني وأقرّ بربوبيته .

ثمّ يضيف رحمه الله: لو دقّقنا في الآيات الآنفة الذكر لرأينا أنّها تشير إلى هذا المعنى.

بعد اتّضاح التفاسير الستّة بصورة إجمالية نشرع بنقدها ودراستها:

القول الأوّل هو أضعف الأقوال لدى الكثير من المحقّقين، ووجّهوا إليه أغلب الإشكالات ، حيث أشكل عليه الطبرسي في (مجمع البيان) والسيّد المرتضى ـ كما نقله العلاّمة المجلسي في مرآة العقول ـ كما انّ الفخر الرازي أورد



(١٢) إشكالا على هذا القول! غير أنّ بعضها ليس جديراً بالإهتمام وبعضها مكرّر أو قابل للإندماج مع غيره، وبصورة عامّة تتوجّه خمسة إشكالات إلى هذا القول:

أ ـ إنَّ هذا التفسير لا ينسجم مع كلمة (بني آدم) أبداً، وكذلك مع ضمائر الجمع في الآية ، وكلّها تتحدّث عن بني آدم لا آدم نفسه. كما لا يتطابق مع لفظه «ظهور» جمع «ظهر»، والخلاصة هي أنّ الآية تقول: انّ «الذرّية» ظهرت من ظهور «بني آدم» لا من ظهر «آدم»، في حين أنّ الروايات تدور حول نفس آدم.

ب ـ لو صحّ أخذ مثل هذا العهد الصريح في عالم سابق لهذا العالم فكيف يعقل نسيان ذلك من قبل البشر بأجمعهم؟! وهذا النسيان العام دليل على إستبعاد هذا التفسير، لأنّ المستفاد من الآيات القرآنية هو أنّ البشر لا ينسون حوادث الدنيا حين تقوم الساعة ولهم حوار بشأنها غالباً، فهل الفاصل الزمني بين عالم الذرّ والدنيا هو أكثر من الفترة بين الدنيا والآخرة؟

ج ـ لو سلّمنا ـ فرضاً ـ بأنّ هذا النسيان العام يمكن تبريره بالنسبة لعالم الذرّ، ولكن النتيجة هي علّية هذا العهد، لأنّه يكون مؤثّراً حينما يتذكّره الناس، أمّا ما ينساه كافّة البشر فانّه يفقد تأثيره التربوي ولا ينفع في إلقاء الحجّة وسدّ باب الأعذار.

د ـ يستفاد من الآية ١١ من سورة المؤمن **﴿رَبّنا أَمَتَّنا اثنَتَينِ وأَحْييتَنا اثْنَتَيْنِ﴾** أنّ للبشر موتتين وحياتين (حيث كانوا موجودات ميتة فأحييت ثمّ يموتون ثمّ يحيون يوم القيامة) في حين يكون لهم ـ وفق هذا التفسير ـ أكثر من موتتين وحياتين: (موت وحياة في عالم الذرّ وموتان وحياتان آخران).

هـ ـ يستلزم هذا التفسير (التناسخ)، لأنّا نعلم بأنّ التناسخ ليس إلاّ حلول روح واحدة في جسمين أو أكثر، وطبقاً لهذا التفسير فانّ الروح الأُولى تعلّقت

أوّلا بالذرّات الدقيقة جدّاً والتي خرجت من ظهر آدم ثمّ خرجت لتتعلّق بالأجسام الحاضرة، وهذا هو عين التناسخ.

وبطلان التناسخ هو من المسلّمات في الدين، ولذا فانّ الشيخ المفيد في كتابه (جواب المسائل السروية) عندما يذكر التفسير أعلاه مقروناً ببعض الروايات يضيف: هذه أخبار القائلين بالتناسخ وفيه جمعوا بين الحقّ والباطل[1].

وقد ورد هذا الكلام بنفسه في كلام شيخ المفسّرين الطبرسي رحمه الله[2]

وسنلاحظ بإذن الله لدى مطالعة أخبار عالم الذرّ أنّ الأخبار الدالّة على هذا التفسير معارضة بأخبار أُخرى.

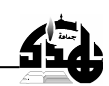
***

وأمّا القول الثاني الذي يتحدّث عن خلق فطرة التوحيد والقابلية الخاصّة لمعرفة الله في عالم الرحم فأنّه أقلّ الأقوال إشكالا، والإشكال الوحيد الذي أورده عليه هو أنّ ظاهر الآية المبحوث عنها هو أنّ السؤال والجواب جاء بلسان القال لا الحال، وهو ضرب من التشبيه والمجاز، مضافاً إلى انّ جملة (أخذ) دليل على أنّ هذا الأمر قد أخذ في الماضي، في حين أنّ فطرة التوحيد للأجنّة هي أمر مستمرّ ويتحقّق في كلّ زمان، والإشكالان يمكن الإجابة عليهما وذلك لعدم مانعية حمل هذا الكلام على لسان الحال مع القرينة، وقد كثر ذلك في اللغة العربية نثراً وشعراً و... ، والإشكالات المهمّة التي ترد على التفسير الأوّل قرينة واضحة على هذا التفسير، والفعل الماضي قد يستعمل في الإستمرار أيضاً،

---

(١) مرآة العقول : الجزء ٧ ، ص٤١

(٢) مجمع البيان : ج٤ ، ص٤٩٧



وهذا ـ طبعاً ـ يحتاج إلى قرينة أيضاً ، وهذه القرينة موجودة في موضوع البحث.[1]

امّا التفسير الثالث القائل بأنّ المراد هو : سؤال الأرواح فانّه لا ينسجم مع آية البحث أبداً ، لأنّ الآية تتحدّث عن أخذ الذرّية من ظهور بني آدم ولا يرتبط هذا بقضيّة الأرواح .

وامّا التفسير الرابع القائل بأنّ السؤال والجواب كان بهذا اللسان الطبيعي ويرتبط بمجموعة من البشر قد سئلوا بعد إبلاغهم بواسطة الأنبياء عن مسألة التوحيد وأجابوا بالإيجاب عليه ، فإنّ عليه إشكالات رئيسية منها :

إنّ الآية تتحدّث عن جميع البشر لا مجموعة صغيرة منهم آمنوا بالأنبياء أوّلا ثمّ كفروا ، مضافاً إلى أنّ ظاهر الآية هو كون السؤال من قِبَلِ الله لا من قبل الأنبياء .

ولا يصحّ ما يظنّه البعض من انّ جملة (إنّما أشرَك آباؤُنا من قَبْل) دليل على أنّ الآية تقصد المجموعة التي أشرك آباؤها ، لأنّ الآية تذكر عذرين غير موجّهين للكفّار ، الأوّل هو الغفلة والثاني التقليد للآباء المشركين .

ويمكن أن يكون كلّ عذر لمجموعة خاصّة وأنّهما معطوفان بكلمة (أو) .

وأمّا التفسير الخامس فإنّه يشابه التفسير الثاني من جهات مع وجود فارق وهو : أنّ التفسير الثاني يتحدّث عن الفطرة القلبية ، بينما يتحدّث التفسير الخامس عن فطرة العقل وكما أسلفنا فإنّ هذا التفسير قد مال إليه كثير من المفسّرين الأعلام .

---

(١) شوهدت هذه العبارة كثيراً في الآيات القرآنية : « انّه كان علياً قديراً » (فاطر : ٤٤) ، « وما كان لبشر أن يكلّمه الله إلاّ وحياً » (الشورى : ٥١) ، « بل كان الله بما تعملون خبيراً» (الفتح : ١١) « وكان الله عزيزاً حكيماً » (الفتح : ١٩)

وأمّا التفسير السادس الذي ورد في (الميزان) فإنّه يواجه إشكالَيْن كبيرين، الأوّل : هو إثبات عالمين (عالم جمعي وعالم تفصيلي) ولا دليل واضح لهما حسب ما ورد من البيان والثاني : انّ تطبيق الآية على هذا العالم (بافتراض ثبوته) يبدو بعيداً جدّاً ولا يسلم أصل القضيّة وفرعها من الإيراد .

حصيلة البحث عن عالم الذرّ

نصل ممّا ذُكر إلى هذه النتيجة وهي : أنّ التفسير الثاني والخامس ـ بعد الدراسة الدقيقة ـ هما أقلّ التفاسير إشكالا ، وامّا الإشكال الوارد في أنّه يخالف الظاهر في بعض الجهات فإنّه يمكن التغاضي عنه مع توفّر القرينة والنظائر الكثيرة لذلك في اللغة العربية وغيرها ، ولذا فإنّ الكثير من المفسّرين المشهورين وعلماء العقائد والكلام قد إختاروهما ، كما تتضمّن الروايات إشارات واضحة إلى هذا المضمون وسيأتي ذلك في البحث المقبل بإذن الله .

وبإختصار : إنّ أغلب المحقّقين يعتقدون بأنّ هذا السؤال والجواب الإلهي قد تمّ مع جميع البشر وبلسان الحال لا القال ، أو عن طريق الإستعداد الفطري المودع في الجنين أو عن طريق الإستعداد العقلي الذي أوجده فيهم بعد البلوغ والكمال العقلي ، أحدهما يتحدّث عن الفطرة القلبية (دون الحاجة إلى إستدلال) والثاني يتحدّث عن الفطرة العقلية التي تعتبر معرفة الله من البديهيات العقلية ، حيث أنّ دلائله من الوضوح ما يجعل كافّة البشر يدركون ذلك . صحيح أنّ مجموعة من البشر ينكرون ذلك بلسان القال ويؤيّدون الماديّة ، ولكنّا حينما نحلّل كلامهم نراهم يجعلون للمادّة والطبيعة نوعاً من العقل والإحساس ، وبعبارة اُخرى انّهم أطلقوا كلمة (الطبيعة) على (الله) ، ونعتقد أنّ الإشارة إلى الفطرة القلبية هي الأنسب (فتأمّل جيّداً) .



هل وجود الله بديهي؟

لقد اعتبر بعض العرفاء «وجود الله» في العالم أمراً بديهياً، وادّعوا بأنّ استنباط هذه الحقيقة من آيات القرآن والوقوف عليها استنباط واضح ولا يحتاج إلى الاستدلال عليه والتفكير مطلقاً.

وكأنّ «توماس كارليل» الفيلسوف الانجليزي قد انتزع مقالته التالية من هذا التصور والاعتقاد إذ قال:

إنّ الذين يريدون إثبات وجود الله بالبرهان والدليل ما هم إلاّ كالذي يريد الاستدلال على وجود الشمس الساطعة الوهّاجة بالفانوس.[1]

ولدى مراجعة الآيات القرآنية والأدعية الواردة عن أهل بيت النبي ـ عليهم السَّلام ـ يمكن الوقوف على إشارات جلية إلى هذا المطلب، ونعني بداهة «وجود الله».[2]

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**أَفِي اللهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّموَاتِ وَالأَرْضِ**﴾ (إبراهيم: ٩).

فما يمكن أن يكون إشارة إلى قضية «بداهة وجود الله» في هذه الآية هو قوله: ﴿ **أَفِي اللهِ شَكٌّ**﴾ في حين أنّ المقطع التالي من الآية أعني قوله: ﴿**فَاطِرِ السَّموَاتِ وَالأَرْضِ**﴾ يعتبر دليلاً مستقلاً على وجود الله كما سيأتي توضيحه وبيانه فيما بعد.

وكما يمكن أن تكون الآية المذكورة إشارة إلى «بداهة وجود الله» كذلك يستفاد

---

(١) گلشن راز: ٥١

(٢) ليس المراد من البداهة أن لا يختلف فيه اثنان أو لا يحتاج إلى تذكير مذكر بل للبداهة مراتب بعضها يحتاج إلى تذكير مذكر أو إشارة مشير، وربما يحتاج التصديق به إلى تخلية النفس من الرواسب والآراء السابقة، ولأجل ذلك لا مانع من أن يكون وجود الله معنى بديهياً وإن اختلف فيه الناس والفلاسفة.

ذلك من الآية التالية التي تصف اللهّ بالظهور إذ تقول:

(هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيء عَلِيمٌ) (الحديد: ٣).

كما ويمكن استفادة إشارات واضحة إلى هذا الأمر من دعاء الإمام أبي عبد اللهّ الحسين بن علي سيد الشهداء ـ عليه السَّلام ـ، ومناجاته يوم عرفة مع ربه إذ يقول:

«كيف يستدل عليك بما هو في وجوده مفتقر إليك؟!أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المظهر لك؟!

متى غبت حتى تحتاج إلى دليل يدل عليك؟!

ومتى بعدت حتى تكون الآثار هي التي توصل إليك؟!

عميت عين لا تراك عليها رقيباً».

ويقول ـ عليه السَّلام ـ في ختام دعائه:

«يا من تجلّـى بكمال بهائه، كيف تخفى وأنت الظاهر؟!

أم كيف تغيب وأنت الرقيب الحاضر؟»[1].

ولكن لابد أن نعلم أنّه لا تنافي بين «بداهة وجود اللهّ» و «فطرية الإيمان به»فلا مانع من أن يكون وجود اللهّ بديهياً ويكون الإيمان بوجوده فطرياً أيضاً.

وفي الحقيقة فإنّ بداهة وجود اللهّ ما هي إلاّ نتيجة فطريته، لأنّ أحد أقسام البديهي هو: «الفطريات» كما هو واضح لمن يراجع هذا البحث في محله[2].

ولأجل ذلك لا مانع من أن تكون مسألة وجود اللهّ بديهية وفطرية في آن واحد وما ذلك إلاّ لأنّ الإيمان بوجوده تعالى قد امتزج بوجداننا وبفطرتنا، ولذلك يبدو وجوده لنا في صورة الأمر البديهي.

---

(١) راجع كتاب الأدعية في دعائه ـ عليه السَّلام ـ يوم عرفة.

(٢) بحث «مواد الأقيسة» وهذا البحث من المباحث الهامة جداً في علم المنطق، ولكنّ المتأخرين لم يهتموا به كما ينبغي مع الأسف، وقد انفرد العلاّمة الحلي فقط في كتابه «الجواهر النضيدة» بهذا المبحث.



الإنسان يبحث عن اللهّ فطرياً

يذهب أكثر المفسرين إلى أنّ فطرية الإيمان باللهّ أمر يمكن استفادته من الآيات القرآنية[1] وإذا بهم يجعلون الإيمان باللهّ كسائر الغرائز المتأصلة في البشر ويقولون: كما أنّ الإنسان يحب الخير فطرياً، أو يكره الشر فطرياً كذلك يبحث عن اللهّ فطرياً وذاتياً، ويريد معرفة ما وراء الطبيعة فطرياً أيضاً، وما كل ذلك إلاّ لأنّ البحث عن اللهّ والتفتيش عن الخالق أمر جبل عليه الإنسان وفطر عليه تكوينه وعجنت به سريرته، فإذا به يميل إلى الإذعان باللهّ ذاتياً بينما يكره الإلحاد ونكران اللهّ ذاتياً كذلك.

تجلّـي الفطرة عند الشدائد

من المعلوم أنّ فطرية الإيمان باللهّ لا تعني بالضرورة أن يكون الإنسان متوجهاً إلى اللهّ دائماً ملتفتاً إليه متذكراً إيّاه في جميع حالاته وآونة حياته اليومية، إذ رب عوامل تتسبب في إخفاء هذا الإحساس في خبايا النفس وحناياها وتمنع من تجليه، وظهوره على سطح الذهن، وفي مجال الوعي والشعور.

وأمّا عند ما يرتفع ذلك الحجاب المانع عن الفطرة فالإنسان يسمع نداء فطرته بوضوح.

أجل .. هذه حقيقة لا تنكر .. فعندما يواجه المرء حوادث مخيفة نجده يتوجه إلى اللهّ، ويستنجد به بحكم فطرته طالباً منه تيسير عمله، وتسهيل أمره.

عندما تقع للإنسان حوادث خطيرة كهجوم الأمواج العاتية على السفينة التي يركبها في عرض البحر، أو حدوث عطل فني في الطائرة التي يمتطيها في الجو، أو انحراف السيارة التي يستقلها، أو يتعرض لهجوم سيل كاسح على قريته أو مدينته.

أقول: عندما يواجه الإنسان أحد هذه المخاطر نراه يتوجه من فوره ـ وبصورة تلقائية فطرية ـ إلى اللهّ، وتحدث لديه حالة عرفانية قلبية، يطلب فيها من اللهّ سبحانه



(١) بمعنى أنّ الآيات القرآنية تصرّح بأنّ الإذعان بوجود اللهّ فطري لدى الإنسان.

الخلاص والنجاة.

ففي هذه الحالة صار الخوف مذكراً له بنداء الفطرة وكاشفاً عنها لا موجداً للإيمان بالله.

فلا يصح لنا أن نستنتج من توجه البشر إلى الله في هذه الحالة وفي هذه اللحظات من حياته بأنّ الإيمان وليد الخوف والرهبة من الطبيعة الغاضبة كما يدعي الماركسيون ومن حذا حذوهم بل الخوف مجرد وسيلة تكشف الغطاء عن ذلك الإيمان المغروس في أعماق البشر ، المودوع في الفطرة بيد الخالق العظيم.

إنّ غريزة حب الجمال واكتناز الثروة وطلب العلم رغم أنّها أُمور مجبولة مع فطرتنا ومعجونة مع خلقتنا فهي لا تظهر ولا تتفتّح ولا تبرز في كل الأوقات والظروف، ولا تتجلّى في عالم الذهن في كل الأزمنة والأحوال ما لم تتهيّأ الظروف المناسبة لها في وجودنا.

وكذلك تكون غريزة التديّن وفطرة الإيمان بالله.

وها هو القرآن الكريم يذكرنا بهذه الحقيقة فيخبرنا كيف أنّ فريقاً من البشر يذكرون الله ويتوجهون إليه في مواقع الشدة، والخطر .. أي عندما تواجه سفنهم طغيان الأمواج ـ مثلاً ـ .

ففي هذا الموضع ـ بالذات ـ يتذكّرون الله وينسون ما سواه من العلل المادية حتى الأصنام التي كانوا يتصورون بأنّـها مقربة لهم إلى الله، فيدعون الله ويطلبون منه بكل إخلاص أن ينجيهم مما هم فيه:

﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ * فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ...﴾ (يونس:٢٢ـ٢٣)

﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوا اللهَ مُخْلِصِينَ لهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ

يُشْرِكُونَ﴾ (العنكبوت:٦٥).

﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوا اللهّ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِ آيَاتِنَا إِلاَّ كُلُّ خَتَّار كَفُور﴾ (لقمان:٣٢)

﴿وَإِذَا مَسَّ الإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِداً أَوْ قَائِماً فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (يونس:١٢).

﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةَ فَمِنَ اللهّ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ * ثمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ (النحل:٥٣ـ٥٤).

﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الإِنْسَانُ كَفُوراً﴾ (الإسراء:٦٧)

﴿وَإِذَا مَس النَّاسَ ضُرٌّ دَعوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ (الروم:٣٣)

هذه الآيات كلها تفيد أنّ الإيمان باللهّ مزروع في فطرة الإنسان، غاية ما في الأمر أنّ الإنسان قد يغفل عن ذلك بعض الأحيان بسبب ما يعتريه من سهو ولهو ولذات منسية سريعة الفوت، ولكنَّه سرعان ما يعود بحكم فطرته إلى اللهّ ـ عندما يواجه الشدائد وتفقد الحياة رتابتها ـ فهنالك لا يرى سوى اللهّ منقذاً ومخلصاً، ولا يرى في غيره ولياً ولا نصيراً.

هل الإيمان بوحدانية اللهّ فطري أيضاً؟

يعتقد فريق من العلماء أنّ الآيات المذكورة ناظرة إلى مسألة «فطرية الاعتقاد بوحدانية اللهّ» لا إلى مسألة «فطرية الاعتقاد بوجوده تعالى».

فقد كتب من هذا الفريق من يقول:

لو كانت هذه الآيات تتحدث عن فطرية شيء، فهي إنّما تتحدث ـ في الحقيقة ـ عن فطرية «وحدانية اللهّ» لا عن فطرية «أصل وجوده».

وذلك لأنّ هذه الآيات موجهة ـ أساساً ـ إلى المشركين الذين كانوا يتخذون مع اللهّ إلهاً أو آلهة أُخرى.

وبذلك يكشف شأن نزولها عن أنّ الأمر الموصوف بالفطرية والمنعوت بكونه جبلياً هنا ليس هو «الاعتقاد بوجود اللهّ» بل هو «الاعتقاد بوحدانيته» كما لا يخفى.

الجواب:

ويمكن الإجابة على هذا الاعتراض بجوابين:

١. أنّ هذا الكلام ـ لو صح ـ إنّما هو صادق بالنسبة للآيات التي تتحدث عن حالة راكبي الفلك[1] حينما تعتريهم الأمواج الطاغية فيتوجهون ـ في غمرة الخوف والانقطاع إلى اللهّ فيما يتوجهون في غير هذه اللحظات إلى معبوداتهم وآلهتهم المزعومة المصطنعة مشركين، حائدين عن جادة التوحيد .

وأمّا تلكم الآيات التي تصف أُصول التعاليم الدينية بالفطرية، وتعتبرها أُموراً نابعة من صميم ذاته ومنطبقة مع جبلته، ومقتضى خلقته فخارجة عن مجال هذا الكلام والاعتراض.

ففي هذه الآيات الأخيرة لم يعتبر التوحيد فقط أمراً فطرياً جبلياً بل اعتبر العلم بالمحسنات والمقبحات والعلم بالتقى والفجور كما في قوله تعالى:﴿**فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا**) (الشمس:٨) **أو العلم بالدين كما في قوله: (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللهّ**﴾ (الروم:٣٠)

أقول: اَعتبر العلم بهذه الأُمور فطرياً.

وفي هذه الصورة لا منافاة بين فطرية الاعتقاد بأصل وجود اللهّ والاعتقاد بوحدانيته فطرياً، لأنّ كل ذلك يندرج تحت إطار «التعاليم الدينية» على السواء.

٢. وحتى لو أغمضنا النظر عن هذا الجواب وقصرنا النظر على آيات راكبي

---

(١) يونس: ٢٣، و العنكبوت: ٦٥، لقمان ٣٢، والإسراء: ٦٧.



الفلك، فإنّ الاعتراض لن يصح في موردها أيضاً.

وذلك لأنّ المشركين رغم اعتقادهم باللهّ ،فإنّهم ما كانوا يعبدون ـ في الأوقات الاعتيادية ـ إلاّ أوثانهم خاصة، فلم يكن لديهم في تلك الأحيان أي توجه إلى اللهّ أبداً، بينما كان هذا الأمر ينعكس تماماً عند مواجهة الأخطار والشدائد فكانوا يتوجهون إلى اللهّ وحده، يعبدونه وحده، ويتضرعون إليه وحده، وأمّا الأصنام فكانت تسلم إلى يد الإهمال والنسيان.

من هذا الأمر يمكن استنباط الحقيقة التالية، وهي أنّه كما أنّ وحدانية اللهّ أمر فطري كذلك الاعتقاد بأصل وجوده فطري أيضاً.

لأنّ المشرك ـ كما لاحظنا ـ لم يتوجه في الشدائد إلاّ إلى اللهّ الذي كان ينسى وجوده وصفته في الحالات الاعتيادية نسياناً مطلقاً وكأنّ اللهّ لم يكن.

ولا ريب أنّ هذه الالتفاتة بعد تلك الغفلة الشاملة للذات أيضاً، علامة أنّ الذات والصفة، ونعني ذات اللهّ ووحدانيته كلاهما أمران فطريان.

وبعبارة أُخرى: إذا كان الاعتقاد بصفة من صفات اللهّ فطرياً فمن الأحرى أن يكون«أصل الاعتقاد بوجوده» كذلك أمراً فطرياً لدى الإنسان، ولذلك فإنّ الآيات المذكورة حتى إذا كانت تعني فطرية التوحيد ـ حسبما ادّعوا ـ فإنّها تعني بالضرورة والأولوية فطرية الإيمان بوجود اللهّ.

مصادر البحث

١ . المدرسة القرآنية للسيد محمد باقر الصدر أعلى الله مقامه.
٢ . تفسير الأمثل للشيخ ناصر مكارم الشيرازي.
٣ . تفسير الميزان للسيد محمد حسين الطباطبائي.
٤ . مفاهيم القرآن للشيخ جعفر السبحاني.
٥ . نفحات القرآن للشيخ ناصر مكارم الشيرازي.